فلسفة اللغة-حوار مع جون سورل

ترجمة وتقديم: جميلة حنيفي

يعد جون سورل John Searle(المولود في 31 جويلية 1932) من رواد الفلسفة التحليلية الأمريكية المعاصرة. درس في جامعة أوكسفورد حيث كان طالبا لجون أوستين (1911-1960)- John Langshaw Austin، فيلسوف اللغة العادية Ordinary Language ومبدع نظرية أفعال الكلام. تحصل سورل على الدكتوراه في الفلسفة سنة 1959. وهو يشغل حاليا منصب أستاذ الفلسفة في جامعة كاليفورنيا.

يشتهر سورل بإسهامه الكبير في تطوير نظرية أفعال الكلام Speech Acts Theory وتوسيع تطبيقاتها في المجال الاجتماعي والسياسي. وتعد هذه النظرية ردا على أطروحة الوضعيين المناطقة الذين قصروا وظيفة اللغة في المنطوقات الوصفية Descriptive Utterances حيث معنى الجملة يحتمل إما الصحة أو الخطأ، وما عدا ذلك من الجمل فهو بلا معنى وفقا لمبدأ التحقق Verifiability Principle . هذا ما جعل هؤلاء الفلاسفة يقعون فيما سماه أوستين بالمغالطة الوصفية Descriptive Fallacy حيث اهتموا بالوظيفة الوصفية للغة وأهملوا وظائف أخرى كأن تكون الجملة ذات معنى لكنها ليست بالصحيحة ولا بالخاطئة لأنها ببساطة لا تعبر عن حكم بل عن فعل؛ مثل الجمل الخاصة بالأمر، أو الوعد، أو التحذير أوغيرها.

جون سورل فيلسوف غزير الكتابة وما يزال قلمه لم ينضب بعد، ومن مؤلفاته نذكر ما يلي:

-بناء الواقع الاجتماعي (1955)The Construction of Social Reality

-أفعال الكلام: مقال في فلسفة اللغة (1969)Speech Acts : An Essay in the Philosophy of Language

-العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي (1998)Mind, Language and Society : Philosophy in the Real World

-المعقولية في الفعل (2001)Rationality in Action

-تشكيل الواقع الاجتماعي: بنية الحضارة الإنسانية (2010): Making the Social World The Structure of HumanCivilization

أجرت هذا الحوار القصير معه Revel، وهي مجلة برازيلية إلكترونية سداسية متخصصة في الدراسات اللغوية. وتم التطرق إلى جملة من القضايا المتعلقة بمفهوم فلسفة اللغة وعلاقتها باللسانيات وبالفلسفة عموما، العلاقة بين اللغة والفكر، إسهام سورل في تطوير نظرية أفعال الكلام وحقل التداولية. وأخيرا برهان "الغرفة الصينية" الذي نشره سورل سنة 1980 حيث تخيل نفسه وحيدا في غرفة يتابع برنامج الكمبيوتر، محاولا فهم نص مكتوب باللغة الصينية التي يجهلها تماما. وبالفعل عن طريق اتباع برنامج مكون من رموز معينة تمكن من قراءة النص بل وإنتاج نص آخر أيضا. وبذلك توصل إلى أن الكمبيوتر يجعلنا نفهم لغة كنا نجهلها، ولكنه ليس فهما حقيقيا لأنه ليس فهما للمعنى والدلالة.

نص الحوار:

-ما هي فلسفة اللغة؟ وما علاقتها باللسانيات وبالفلسفة؟

-سورل: عموما يطرح في فلسفة اللغة السؤال الآتي: كيف بالضبط ترتبط اللغة بالواقع؟ عندما أُصدر أصواتا عبر فمي، يمكنني عادة أن أدلي بحكم، أطرح سؤالا، أقدم طلبا، أنجز وعدا أو أنجز نوعا آخر من فعل الكلام من نمط ما وصفه أوستن J.L Austin بالأفعال الإنجازية Illocutionary Acts.كيف يكون ذلك ممكنا ما دام كل ما أتفوه به عبارة عن مجموعة من النفخاتالصوتية Acoustic Blasts. ويتخذ هذا السؤال شكلا عاما آخر هو: ما هو المعنى بالضبط؟ ماذا يعني بالنسبة إلى المتكلم أن يقول شيئا ويقصد شيئا بواسطة ما يقوله؟ ما هومعنى الكلمات في اللغة حيث تتخذ دلالة اصطلاحية؟

إن السبب الذي يجعل السؤالين: "كيف ترتبط اللغة بالواقع؟" و"ما هو المعنى؟" متغيران للسؤال نفسه هو كون وظيفة المعنى تتحدد في ربط اللغة بالواقع.

عند الإجابة عن هذه الأسئلة لا بد أن تتعامل فلسفة اللغة مع مجموعة كبيرة من الأسئلة الأخرى، مثل ما هي الحقيقة؟ ما هي الإحالة Reference؟ ما هو المنطق؟ ما هي العلاقات المنطقية؟ ما المقصود باستعمال اللغة وكيف يرتبط الاستعمال بالمعنى؟ وهكذا دواليك مع عدد كبير من الأسئلة الأخرى سواء القديمة منها أو الجديدة.

لا يوجد خط فاصل وصارم بين فلسفة اللغة واللسانيات، لكن على العموم تتعامل اللسانيات مع وقائع تجريبية فعلية عن لغات بشرية حقيقية. كذلك تتعامل فلسفة اللغة مع وقائع تجريبية، لكن عموما الغرض من ذلك هو الحصول على بعض الميزات الكونية المتضمنة في المعنى والتواصل، وخاصة تحليل البنية المنطقية للإحالة، الحقيقة،الضرورة، أفعال الكلام، وغيرها. وهذه التحليلات لا تعطى بواسطة مجرد تحليل الوقائع التجريبية لهذا النوع من اللغة أو ذاك.

إن العلاقات بين فلسفة اللغة والفلسفة عموما هي أيضا معقدة جدا. ولفترة طويلة اعتقد العديد من الناس أن كل فلسفة هي حقا فلسفة لغة لأنهم اعتقدوا أن كل المسائل الفلسفية يمكن أن تحل بواسطة تحليل اللغة. أعتقد أن قلة قليلة ما تزال تؤمن بذلك، لكن تبقى فلسفة اللغة جزءا مهما من الفلسفة بشكل عام.

إن السبب الذي جعل فلسفة اللغة تفقد مركزيتهامقارنة بما كانت عليه، لنقل في الخمسين سنة الماضية، هو كون العديد من الفلاسفة، وأنا على سبيل المثال واحد منهم، فكروا أن فلسفة اللغة في حد ذاتها تعتمد على نتائج فلسفة الذهن Philosophy of Mind. إن اللغة هي امتداد بيولوجي بدرجة كبيرة للقدرات الأساسية للعقل البشري.

-ما هي العلاقة بين اللغة والفكر؟

-سورل: من المستحيل الإجابة عن سؤال متشابك كهذا في فسحة قصيرة، لكن يمكن ذكر بعض الاعتبارات العامة. يعتقد الكثير أنه من المستحيل أن يكون هناك تفكير بلا لغة لكن من الواضح أن هذا خطأ. لدينا الآن عددا هائلا من الأدلة على أن الحيوانات قادرة على الانخراط على الأقل في بعض الأشكال البسيطة من عمليات التفكير. لكن الأشكال الأكثر تعقيدا تتطلب شيئا من قبيل اللغات البشرية. إذنندرك من هنا أن للبشر نوع من الأفكار لا يمكن أن يكون لدى الحيوانات. قد يجد الحيوان طريقه عبر متاهة بطريقة تبين أنه يمكن أن يفهم الفرق بين مسار واحد، مسارين، ثلاث وأربع مسارات، لكن من دون اللغة لا يمكن للحيوان أن يفكر أن الجذر التربيعي ل 625 هو 25. إذنيوجد عدد لا نهائي من الأفكار لا

يمكن الحصول عليها إلا بواسطة اللغة، وإن مجال التفكير الذي يمكن أن ينجز بلا لغة محدود جدا.

-لعبت دورا كبيرا في تطوير نظرية أفعال الكلام وأصول التداولية Pragmatics. كيف تنظر إلى هذه الإسهامات اليوم؟

-سورل: لا أحب كثيرا كلمة "التداولية" لأنها تنطوي على تمييز صارم بين التداولية وعلم الدلالة Semantics ، ولا أعتقد أن هذا التمييز يمكن أن يحدث. مع ذلك، أعتقد أن دراسة أفعال الكلام واستعمال اللغة ضروريان للغاية بالنسبة إلى اللسانيات وفلسفة اللغة. كماأعتقد أنه لا يمكن البدء بفهم ما هي اللغة أو كيف تعمل اللغة من دون رؤية أن الوحدة الأساسية للمعنى هي ما يقصده المتكلم عندما ينجز منطوقا. وأن الوحدة الأساسية للمنطوقات Utterances ذات المعنى هي فعل الكلام، وعلى التحديد الفعل الإنجازي كما حُدّد أصلا في الأعمال المبكرة لأوستن.

-فيما يخص برهانك "الغرفة الصينية" Chinese roomضد الذكاء الاصطناعي Artificial Intelligence القوي فقد أصبح كلاسيكيا، لكن بالرغم من ذلك فقد تعرض لانتقادات كثيرة. ما هي البراهين الأساسية للنقاد وكيف ترد عليها؟

-سورل: هناك الكثير من البراهين - لا يمكنني أن أوجزها هنا - ضد برهان الغرفة الصينية. وأساسا فقد فشلت كلها لسبب واحد يتمثل في عدم فهم المقصود بالكمبيوتر الرقمي Digital Computer، كما وُصف أصلا من قبل ألان تورنج Alan Turing . والكمبيوتر الرقمي عبارة عن جهاز يتعامل مع نمطين من الرموز،يُفكّر فيها في العادة على أنها أصفار وآحاد. مع ذلك أي من الرموز يعد صالحا. السبب في أن مثل هذا الجهاز قد فشل من ذاته في إنتاج الوعي والقصدية والمعنى يعود ببساطة إلى كون خصائصه قد تم تحديدها بصفة صورية أو نحوية. والبناء النحوي لهذه العمليات ليس كافيا من ذاته لضمان وجود دلالات أو معنى. في الغرفة الصينية يملك الإنسان كل البناء النحوي الذي يمكن لبرامج الكمبيوتر تزويده بها، لكنه مع ذلك ما يزال لا يفهم معنى أي من الكلمات. وإذا لم يفهم الإنسان الكلمات على أساس إنجاز البرنامج لغرض الفهم، إذن لن يفهمها أيضا أي كمبيوتر رقمي على ذلك الأساس دون غيره، لأنه لا يوجد كمبيوتر رقمي، بما هو كذلك، يملك شيئا مما لا يملكه الإنسان.

-بصفتك فيلسوفا ذو خبرة هل يمكن من فضلك اقتراح بعض القراءات الأساسية في مجال فلسفة اللغة؟

-سورل: لاقتناء مجموعة عامة وجيدة من المقالات في موضوع فلسفة اللغة، أنظر:

Austin, **How to Do Things with Words**, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1962.

Grice, **Studies in the Way of Words**, Cambridge: Harvard University Press, 1989.

Martinich, A. P, **The Philosophy of Language,** 4th edition, Oxford University Press, 2001.

Searle, **Expression and Meaning**, Cambridge University Press, 1979.

Searle**, Speech Acts**, Cambridge University Press, 1969.

SEARLE, John. Philosophy of Language: an interview with John Searle. Revista Virtual de Estudos da Linguagem - ReVEL. Vol. 5, n. 8, março de 2007. ISSN 1678-8931 [www.revel.inf.br].